حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

إرهاق الوجود الإسرائيلى

فدائيًا - سياسيًا - إقتصاديًا
ثقافيًا - علميًا - فكريًا

دار الشروق

إرهاق الوجود الإسرائيلي

فدائيًا - سياسيًا - إقتصاديًا
ثقافيًا - علميًا - فكريًا

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصري -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shoiouk.com

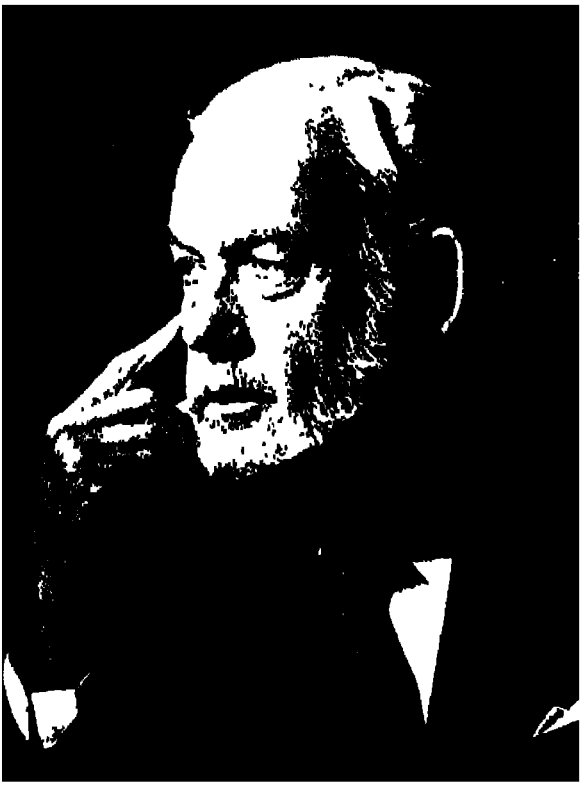

حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

إهداء

إلـــى أرواح الـشـــهـــــــــداء
الـذيـن رووا الأرض بـالـدمـــــــاء
عـطـــــــاءً وبـــــذلا وفـــــداءً

إلى

أرواح شـــــــــهـــــــــداء ١٩٤٨
أرواح شـــــــــهـــــــــداء ١٩٥٦
أرواح شـــــــــهـــــــــداء ١٩٦٧
أرواح شـهـداء حـرب الاسـتنزاف ١٩٦٩
أرواح شـهـداء حـرب أكـتـوبر ١٩٧٣
أرواح شـهـداء الانتـفـاضـة الأولى ١٩٨٧
أرواح شـهـداء المقـاومـة فى لبـان ١٩٨٢
أرواح شـهـداء الانتـفـاضـة الثـانيـة ٢٠٠٠

التى بدأت فى ٢٨ سبتمبر ذكرى وفاة جمال عبدالناصر والتى ندعو الله أن تبقى مضيئة مشتعلة إلى أن تعم سائر البلاد العربية والإسلامية تأكيدًا لاستمرار ثورة ٢٣ يوليو حتى تتحرر أرض فلسطين وسائر بلاد المسلمين.

فليكن شعارنا

إرهاق الوجود الإسرائيلى

فـدائيًـا ـ سيـاسيًـا ـ اقتـصـاديًا
ثقـافـيًـا ـ علمـيًـا ـ فـكريًا

مقدمة

إن مراحل إعادة بناء القوات المسلحة وإقامة قاعدة الصواريخ وحرب الاستنزاف، هى الركائز التى مهدت لحرب أكتوبر وكل منها ملحمة ينبغى أن تسجل بكل تفاصيلها وتضحياتها من الأموال والأنفس، وكانت الملحمة الرابعة هى الضرب فى العمق، ومنها ضرب مدرسة بحر البقر ومنطقة الخانكة وأبى زعبل وقناطر لجع حمادى - وفى النهاية لم يبق لهم من سبيل للانتقام من العمليات الناجحة فى حرب الاستنزاف إلا الاعتداء بالغارات الجوية على مدن القناة: بورسعيد والإسماعيلية والسويس، والملحمة الخامسة كانت تهجير أهل مدن القناة الثلاثة؛ حيث بلغ عدد المهجَّرين إلى ما يقرب من مليون ونصف المليون. وبذلك لم يبق للعدو أى مجال للانتقام، وأصبحت عملية التهجير هى بمثابة العبور إلى الهدف الذى تحقق فى العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وفى عام ١٩٧٢ وقبل الحرب بسنة وعشرة أشهر، قامت المظاهرات فى جميع الجامعات؛ حيث إن عام ١٩٧١ الذى أطلق عليه عام الحسم. فلما مضى عام الحسم دون حسم، وكان صبر الناس قد نفد.

قامت المظاهرات تعبيراً وتنفيساً، وكانت المظاهرات فى جامعة أسيوط هى الأشد، وذهب من ذهب من المسئولين لتهدئة النفوس إلا أنهم فى أسيوط أرادوا أن يستمعوا إلى من يمثل ثورة ٢٣ يوليو، فجاء لمقابلتى وفد من أهل أسيوط وممثلون لاتحاد طلبة الجامعة وممثلون لمجلس إدارة الجامعة وتم الاتفاق على تلبية هذه الدعوة الكريمة وتحدد لهذا اللقاء التاريخى يوم ٤ مارس ١٩٧٢.

ركبت قطار الصعيد بمفردى وحيداً؛ حيث اعتذر وزير التعليم العالى فى اللحظة الأخيرة، وكان هذا الوزير هو «شمس الدين الوكيل»، بدعوى أن السادات أراد مناقشة سياسة التعليم فى هذا اليوم.

وصلتُ محطة أسيوط ظهراً وكان فى استقبالى أصحاب الدعوة وهم مجلس إدارة الجامعة وممثلو اتحاد الطلبة وأهل المدينة ومعهم المسئولون فى المحافظة، وتوجهنا إلى الجامعة وكان الطلبة فى الكافتيريا يتناولون وجبة الغداء، وكان كل منهم يحمل بين يديه ما يحمل عليه طعامه فتقدمت وأخذت مكانى معهم فى الصف لأتناول وجبة الغداء معهم مما يأكلون، وكنت سعيداً وكانوا سعداء بهذه المشاركة، وذهبت للحجرة التى أعدت لى لأستكمل بينى وبين نفسى الإجابة عن هذا السؤال: ما الذى يريد أصحاب الدعوة أن يسمعوه منى؟ وكانت هذه الخلوة استكمالا لما بدأته فى رحلة القطار من مناقشة الموقف بأبعاده بعد أن انقشع غبار معركة ١٩٦٧، ودخلنا فى مراحل التصدى والصمود وحرب الاستنزاف التى أوقفتها مبادرة «روجرز».

صليتُ العصر ودعوت الله والتمستُ منه التوفيق؛ حيث إن الكلمة قدر، والكلمة أمانة، والكلمة مسئولية، والكلمة اهتمام للسامع، وبقدر ما يكون بها من إخلاص يكون مردودها التوفيق والقبول.

وبدأ الاجتماع مع غروب الشمس، وأردت أن تكون السيطرة على الاجتماع محكمة على قدر الإمكان، فطلبت ألا توجه الأسئلة إلا من خلال المنصة ومن خلال من يمثل الطلبة، فوافق الجميع على أن رئيس اتحاد الطلبة هو الذى توجه من خلاله الأسئلة، فدعوته ليأخذ مكانا معنا فى المنصة.

وبدأ الاجتماع بالكلمات التقليدية التى تعبر عن إدارة الجامعة واتحاد الطلبة وأهل مدينة أسيوط، وجاء دورى فى الكلام، فقلت فى كلمة مرتجلة كل ما فى نفسى تعبيراً عما عشناه ومارسناه، فكانت كلمة فيها تحديد للمنهج الذى علينا اتباعه لمواجهة أعدائنا مهما كان حجمهم ومهما كان تدبيرهم.

قلت: لأول مرة أحضر إليكم فى مدينتكم أسيوط بعد انتقال جمال عبدالناصر، ومن حق هذا الرجل علينا فى البلد الذى أنبته أن نذكر ما أنجزه خلال خمسة عشر عاما.

إن ما أنجزه لا يقع تحت حصر، ولن يذكر له التاريخ فى كل ما أنجز إلا أنه بثورة ٢٣ يوليو المجيدة، استطاع أن يحرك واقع المنطقة العربية، ولكنه مات سنة ١٩٦٧، إلا أنه تشبث بالحياة، ليستر انسحابه من الحياة فى عام ١٩٧٠. وفى هذه المرحلة خاض أمجد

معاركه عندما أعاد بناء القوات المسلحة وأقام قاعدة الصواريخ حرب الاستنزاف، فلما شعر بالأمان مات مطمئنًا فتحية لنظ وفاتحة لروحه.

ثم ألقيت المسئولية على عاتق الأخ الزميل أنور السادات، مسئولية لا يسعى إليها عاقل، ولكن إذا ألقيت المسئولية على الرجال فينبغى أن يحملوها كما يحمل الرجال مسئولياتهم، أدعوكم أن تقفوا إلى جانبه وتساندوه وتدعوا له بالتوفيق. وقوبل الاستهلال من هذا الجمع الذى كان يتجاوز عدده ١٠ آلاف والارتياح.

وشعرت بأن المشاعر العامة تشد من أزرى وتشجعنى للدخول صلب الموضوع الذى أعلم أنه يشغل بال الحاضرين بعد أن عاشوا عاش شعب مصر هذه المرحلة فى قلق وتربص وانتظار لنرد ونثأر ١٩٦٧، فنغسل العار ونحقق الانتصار.

ثم قلتُ: إن مصر لها وضع خاص وليست كغيرها من فهى المكان القائد فى هذه الأرض حتى أن القرآن الكريم يطلق عا اسم الأرض وهى مجرد جزء من الأرض، ولكنه التعظيم و كأن يقول يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ (يوسف: ٥٥)، أى على خزائن مصر، ويذكر اسمها فى الكريم خمس مرات بعدد الصلوات الخمس وعدد أركان الإسلا ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن مصر ثلاثة أحاد نذكرها لأهميتها فى الموضوع الذى نتعرض له:

١ ـ «أوصيكم بأهل مصر خيراً فإن لكم فيها نسبًا وصهرًا».
٢ ـ «مصر كنانة الله فى أرضه من مسها بسوء قصم الله ظهره».
٣ ـ «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جندًا كثيفًا فهم خير أجناد الأرض لأنهم هم وزوجاتهم فى رباط إلى يوم القيامة»، وهى إشارة لرباط اجتماعى لتجانس أهلها ورباط حربى وعسكرى لأنها مطموع فيها لما تمثله من قيمة ومحور للأمة الوسط التى قال الله فى شأنها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). والكنانة معناها جعبة السهام التى ترد العدوان.

لكل ذلك فالصراع بين الأقوياء عندما تكون مصر فى دورات الزمان المتقلبة ليست على مستوى القيادة، تكون مطمعا للأقوياء كل يريدها لنفسه. وهذا الوضع يعرضنا لمعركة تفرض نفسها علينا، وليس من المفيد أن نستعين بقوة منهم على الأخرى، فإنهم فى نهاية المطاف يؤكدون أن الوفاق بينهم لضربنا مقابل تسويات وتنازلات بينهم.

وقد حدث ذلك فى عام ١٩٠٤ فيما يسمى بالوفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا. انفردت إنجلترا باحتلالها لمصر مقابل إطلاق يد فرنسا فى تونس وشمال أفريقيا. وها هو التاريخ يعيد نفسه، حينما كان الصراع بين روسيا وأمريكا وانتهى بهما الأمر بضربنا فى عام ١٩٦٧ والذى وصفته فى هذا اللقاء قائلا:

إن ما حدث فى ١٩٦٧ كان خيانة وكانت مؤامرة اتفقت فيه

الأطراف واستدرج فيها من استدرج وجاز الأمر على السذج، لكى نعيش النتيجة. واتضح من هذه التجارب المتكررة أنه لا سبيل لمواجهة هذه العداوات إلا فى الارتباط بالأكبر وهو الله القوى العزيز.

أما المعركة الثانية: فهى ضد الوجود الإسرائيلى بكل ما يمثله من أطماع تتمثل فى الشعار الذى يرفعونه، وهو «ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل»، وهذا ما يشير إليه علمهم الذى تتوسطه نجمة داود فى أعلاها وأسفلها خطان باللون الأزرق إشارة إلى النيل والفرات. وما وجودهم فى أرض فلسطين المحتلة إلا مقدمة إلى أطماعهم التى لا تقف عند حد، وهى الدولة الوحيدة التى ليس لها حدود ويقولون: «الحدود حيث تصل الجنود».

ولذلك فإن المعركة بيننا وبينهم هى معركة حياة أو موت، وهى أن نكون أو لانكون.

إن أسلوبهم فى مواجهتنا هو أسلوب انتهازى يعمل على استدراجنا فى معارك تقليدية، يملكون فيها التفوق فى التسليح الذى تمدهم به حاضنتهم أمريكا. وهم يريدونها حربا خاطفة تنتهى فى أيام؛ فيكون انتصارهم انتصارا مضللا فيزيدهم صلفا وغرورا وينعكس علينا باليأس والإحباط.

ولقد آن الأوان أن نستدرجهم نحن إلى المعركة التى نملك فيها كل عناصر التفوق فى العدد وامتداد الأرض وحجم الموارد، التى تزخر بها أراضينا الممتدة من الخليج إلى المحيط عربيًا، ومن المحيط إلى المحيط إسلاميا. وهذا يقتضى منا أن نرفع شعارًا جديدًا يعبر

عن هذه الطاقات فى حرب (فدائية ـ اقتصادية ـ سياسية ـ ثقافية ـ فكرية ـ علمية) تحت هذا الشعار . . إرهاق الوجود الإسرائيلى فدائيًا ـ سياسيًا ـ اقتصاديًا ـ ثقافيًا ـ علميًا ـ فكريًا ، ونعد لكل ميدان من هذه الميادين الستة خطة عمل مفصلة . . وعندما ننتهى من هذه الدراسة تكون الخطة المتكاملة ، ونبدأ فى تنفيذها خطوة خطوة ، وتكون مصر هى القيادة التى تنطلق منها هذه الدعوة ، وفى كل يوم ينضم إلى كتائب الفدائيين فى كل هذه الميادين إلى أن تتسع الجبهة على الأعداء ، فلا يكون أمامهم من سبيل إلا الجنوح إلى السلم الذى لم يجنحوا له أبدًا إلا تحت هجمات الفداء ، من حرب الاستنزاف ، إلى انتفاضة الحجارة الأولى ، إلى المقاومة فى لبنان ، إلى الانتفاضة الأخيرة التى بدأت فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ ، مع الذكرى الثلاثين لانتقال جمال عبدالناصر ، وكأنها بذلك تجدد الصمود ، وتقول ثوار ثوار ولآخر المدى ثوار ، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة . مرددين قول الشاعر :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر

المؤلف

أكتوبر ٢٠٠١

١ ـ فدائيًا

كلما أهلّت علينا وعلى الدول العربية ذكرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تجدد الحديث عن جمال عبدالناصر كقائد لهذه الثورة المجيدة ليس بالنسبة لمصر، ولكن بالنسبة للعالم العربى؛ حيث إن من أهم ما أحدثته الثورة هو أنها حركت واقع المنطقة العربية.

وهنا يتردد التساؤل: هل لفكر جمال عبدالناصر امتداد وتواصل بعد أن مضى على انتقاله إلى جوار ربه ما يقرب من الثلاثين عاما؟

وهناك من يسأل ليعلم، وهناك من يسأل ليتعالم، وهناك من يسأل ليشكك، وهناك من يسأل ليطمئن.

ولكل أولئك أقول: إن جمال عبدالناصر كان ظاهرة عبرت عن مرحلة من مراحل النضال المضيئة فى تاريخ الأمم، وهذه المراحل فى تتابعها إنما تسعى إلى تحرير الإرادة لاستعادة الذات، وإلى تعميق الإحساس بالعزة والشرف وبالكرامة الوطنية والقومية. وكل مرحلة أشبه بفرع فى شجرة الحرية تعبيرا عن نضال الشعب لاستخلاص إرادته من مغتصبيها. وكل مرحلة لها رجالها الذين تقع عليهم أعباء المرحلة. وكل مرحلة تساعد على إظهار عوامل القوة، كما تساعد أيضا على توضيح عوامل النقص، وبذلك تزداد الصورة وضوحا وجلاء؛ فنعرف ما تحقق، ونعرف ما لم يتحقق وهذا يدفع المناضلين

أن يراجعوا تقديراتهم لموقف أمتهم، ويتبينوا حجم عدوهم ومن وراءه، ويتعرفوا أيضا على عناصر قوتهم التى لم تستخدم فى مرحلة النضال السابقة، ليكون الحشد للمرحلة القادمة أكثر شمولا وأكثر فاعلية، ومراحل النضال متصلة، كما أن مراحل التبعية وفقد الإرادة أيضا متواصلة، ولا ينبغى أن تختلط الأوراق بين مراحل النضال وفترات التبعية وفقد الإرادة؛ حيث إن فترات التبعية مراحل عارضة، أما مراحل النضال فهى فقط التى تحسب فى عمر الأمة، أما فترات التبعية وفقد الإرادة فهى الوقت الضائع.

فاللهم أدعو أن تجعل أيام النضال هى السائدة حتى يتحقق وعد الله فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

إن قمة التآمر على العالم الإسلامى بدأ فى عام ١٩١٧ عند دخول الجنرال اللنبى مدينة القدس، وقال كلمته المشهورة وهو يتسلم مفتاح المدينة المقدسة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»، وعندما دخل الجنرال جورو الفرنسى دمشق وعند قبر صلاح الدين قال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»، وبدأت الجريمة الكبرى أولى خطواتها بصدور وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ للتمكين لليهود بأن يكون لهم وطن قومى فى فلسطين.

وبعد ٣٠ سنة فى عام ١٩٤٧ كان قرار التقسيم، ثم حرب ١٩٤٨ لإتمام جريمة العصر بهذا التحالف الصهيونى الغربى الذى ستظل البشرية تعانى منه إلى أن يأذن الله بتدبيره المحكم، الذى يتم مرحلة

تتلوها مرحلة من البذل والفداء وإرهاق هذا الوجود حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة، فنردد جميعا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

كلما قرأت الآية القرآنية فى قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨). أشعر بأن هذه الآية قد قيلت فى مسلمى هذا الزمان الذى نعيش فيه وهى تبدأ بتساؤل: كيف؟ أى كيف يصل بكم الأمر أن تهونوا على أنفسكم حتى يظهر عليكم الكفار والمشركون وقتلة الأنبياء فلا يرعون فيكم ضعيفا وليس لهم عهد أو التزام، ﴿لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨).. كيف تخرجون عن منهج السماء حتى يستهين ويطمع فيكم الأعداء؟ كيف تفرطون فى حق أنفسكم وقد قال الله فيكم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)؟ كيف تقفون بين يدى الله وهذا حالكم وقد خلقكم لتقودوا البشر إلى طريق الخير بمنهج السماء تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)؟ فيا أمة لا إله إلا الله. آن الأوان للبذل والفداء تنفيذا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

إننا نحييكم أيها المجاهدون وأبطال الحجارة، فقد أصبحتم الأمل والقدوة بكل جدارة، وقد أبلغتم الإشارة وأرهقتم الوجود الإسرائيلى فى عقر داره.. مصر الكنانة تشد من أزركم حتى تتحرر الإرادة.. ومصر الثورة تحرضكم على ضرب عدو الله وعدوكم بلا هوادة، والله معكم.. وتحية لمن فاز بالشهادة واذكروا الله كثيرا فإما نصراً وإما شهادة.

لا تكتفوا بالحجارة تقذفونها، ولكن أشعلوها نارا وحرائق وخربوا أرضا اغتصبوها ودمروا كل ما أقاموا من مرافق، لا تتركوهم يغمض لهم جفن أو ينعموا بما سرقوا، وليقل كل منكم بأعلى صوت: الأرض أرضى والبلاد بلادى ولن أترك منها شبرا واحدا للأعادى.. شهداؤكم فى الجنة وقتلاهم فى النار فهم حزب الشيطان وأنتم حزب القادر الجبار.

إن إرهاق الوجود الإسرائيلى فدائيا لن يتوقف منذ بدأ بحرب الاستنزاف التى أشعلت الشرارة الأولى لهذا النوع من الحرب غير النظامية، والتى فيها مقتل إسرائيل فاستغاثت بحاضنتها أمريكا التى تقدمت بمبادرة «روجرز» والتى قبلتها مصر لاستكمال قاعدة الصواريخ، وما أن جاء عام ١٩٧٧ بمخازيه وتبعه عام ١٩٧٨ وكامب ديفيد بما فيه، حتى انطلقت انتفاضة الحجارة تعبيراً عن الألم والمرارة فى عام ١٩٨٧ وسبقتها المقاومة فى لبنان، ثم الانتفاضة الثانية فى ٢٨ سبتمبر من العام الماضى، وكأنها احتفال بذكرى وفاة جمال عبدالناصر.